الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في جبال النوبة ١٩٤١ - ١٩٥٦

أحمد عبد الرحيم نصر

لاحظ نادل في دراسة انثروبولوجية له عن النوبة - بدعوة من نيوبولد مدير مديرية كردفان آنذاك - ان الاسلام اكثر انتشارا في شمال الجبال (كواليب ، دلنج ، كدرو ، وجزئيا النيمانج) واقل منه في جنوبها وغربها (كورنقو ، مساكين ، مورو ، تولوشي) بينما تقع شرقها (هيبان ، لارو ، اوتورو ، ترا) في درجة الوسط في التأثر . ولاحظ نادل ، كذلك ، ان تراماندي ثم كامدانق ومبرى اكثر الجبال تأثرا بالاسلام في شرق الجبال وفي جنوب غربها ، على التوالي (١) . ثم جاء ستيفنسون بعد مضي أكثر من عشرين عاما ليقول ان هذا الانتشار غير المتساوي للاسلام في جبال النوبة بقي عموما كما هو . وحاول كلاهما تفسير ذلك . فعزاه نادل لتفاوت قابلية التمثل الحضاري بين القبائل وعزاه استيفنسون لمدى سهولة الوصول للجبال وللتركيب الاجتماعي والتركيب السياسي ولعوامل تاريخية كالهجرة والفتح وحدود المجموعات القبلية وتوزيعها (٢) . وحاول كاتب هذا المقال في مكان آخر أن يبيّن كيف لعبت السياسة البريطانية بين ١٩٣٠ - ١٩٤٠ دورا كبيرا في هذا الانتشار غير المتساوي . فقد تميزت تلك الفترة بخطط مركزة وتكتيك مكثف لصد انتشار الاسلام واتبعت الحكومة في ذلك

---

١ - Nadel, S. F., *The Nuba*, O. U. P., 1947, P. 488

٢ - Stevenson, R. C., "Some Aspects of the Spread of Islam in the Nuba Mountains" in *SNR*, Vol. XLIV, 1963, P. 12 Reprinted in "*Islam in Tropical Africa*" ed. I. Lewis, O.U.P., 1966, PP. 208—232.

عدة طرق أهمها اصدار تشريعات قانونية تحد من مصادر التعريب ـ بمعناه الواسع العريض ـ وبالتالى الاسلام (١) .

ونأمل فى هذه المقالة القصيرة أن نبين كيف أن الفترة ما بعد ١٩٤٠ وحتى قيام الجمعية التشريعية فى ١٩٤٨ شهدت سياسة أقل تشددا ـ خاصة فى مجال التعليم ـ ولكنها لم تصل حد التشجيع على كل حال .

تقدم الشيخ محمد الأمين القرشى (٢) بطلب للسلطات فى عام ١٩٤٧ للسماح له بالتبشير الاسلامى فى جبال النوبة . ورغم أنه أوضح أنه ليس له غرض سوى هداية النوبة للصراط المستقيم الا أن السكرتير الادارى تشكك فى نواياه ورأى انها سياسية فى المقام الأول وان السماح له مؤد لا محالة الى اضطراب فى المنطقة . ولم يعوز السكرتير الادارى الدليل فالشيخ محمد الأمين هو حفيد الشيخ القرشى ود الزين الذى تتلمذ على يديه الامام المهدى (واشترك المهدى نفسه والخليفة عبد الله فى بناء قبته) . ثانيا ان الشيخ محمد الأمين هاجم المسيحية فى عطبره فى عام ١٩٣٤ وأنذر فى ذلك ، كما هاجم مفتى القدس وعارض بيع المسيحيين للقرآن مثيرا بذلك متاعب جمة وأشار السكرتير الادارى الى أن سجل الشيخ محمد الأمين يذخر بحوادث مشابهة .

وكان بامكان مدير كردفان استغلال سلطاته القضائية فى رفض طلب الشيخ القرشى اعتمادا على قانون المناطق المقفولة على أساس أنه شخص غير مرغوب فيه أو اعتمادا على عدم استيفائه شروط

---

١ ـ لتفصيل أوفى أنظر :
Nasr, Ahmad Abd al-Rahim, " British Policy towards Islam in the Nuba Mountains 1920—1940" in SNR, Vol. 52 (forthcoming)

٢ ـ هو الشيخ محمد الامين القرشى أحمد الضرير . (وفى قول آخر « البصير ») ، أطلقه عليه الشيخ الطيب ود البشير شيخ السمانية المشهور براجل أم مرح) والده ـ القرشى أحمد البصير ـ أحد أمراء المهدية فى منطقة الحلاويين . آمل أن أتحدث مستقبلا عن الشيخ محمد الامين بشىء من التفصيل وعن الدور التبشيرى الذى قام به فى جبال النوبة والجنوب بعد أن حظيت بمقابلته ومساعدته .

التبشير اذ أنه سيقوم بذلك منفرداولم يقدم أية خطة للعمل • ولم يكن من الحكمة أن يفعل المدير ذلك لأن الحكومة أعلنت من قبل ـ وكررت ذلك فى مناسبات عديدة ـ أنه ليس من سياستها معارضة التبشير ، اسلاميا كان أم مسيحيا ، فى أية بقعة من بقاع السودان • وطلب الشيخ القرشى « محك لهذا القول » (١) •

كتب السكرتير الادارى لمدير المديرية معلنا أنه ليس فى النية الرد على طلب الشيخ القرشى حتى تعلن الحكومة سياستها تجاه الارساليات، وطلب منه أن يخبره فورا فى حالة وصول الشيخ القرشى موضحا له أن قاضى القضاة قد وعد بتهدئة خاطره فى هذا الاثناء (٢) •

شهد أواخر عام ١٩٥٠ وصول الشيخ القرشى لجبال النوبة لجمع التبرعات • وكان قد دعا قبل ذلك بعام الى تكوين هيئة للدعوة الاسلامية فى الجنوب وجبال النوبة • وتكونت الهيئة (٣) وتبرع مواطنو كردفان وحدهم بما يزيد على الالفى جنيه • واستطاع ، بمعاونة بعض الحادبين من رجالات الأبيض والدلنج (٤) ، انشاء معهد دينى فى الدلنج ، لتعليم ابناء النوبة ليكونوا رسلا لدى قومهم كما فتح خلاوى فى جبال تتل وتنديه والكاركو الخ •• (٥) فأسلم على يديه قوم كثيرون • وعلى أثر نجاحه كون رجال الطائفتين ، الختمية والانصار ، وحدات للتبشير الاسلامى • فحاولت الطائفة الاولى غزو منطقة كادقلى بينما حاولت الثانية غزو منطقة الدلنج •

---

١ ـ جريدة « النيل » تاريخ ١ر١٠ر١٩٤٧ .

٢ ـ من السكرتير الادارى الى مدير مديرية كردفان ، ٢ر١٢ر١٩٤٧ .
(46. Mission JD/SCR/46)

٣ ـ ضمت الهيئة السادة : على محمد صالح ، عبدالله شوقى الاسد ، محمد خير ، عوض عمر ، عثمان أورتشى ، حمزة حسين حمزة وغيرهم .

٤ ـ كالسادة الفاتح النور ، محمد طه التجانى ، محمد النور وغيرهم بالابيض والسادة سيد مكى ، محمد أحمد الصديق ، التجانى الصديق ، ابراهيم الكبيدة ، كندة كربوس وغيرهم .

٥ ـ جريدة كردفان (عدد خاص عن جبال النوبة) ، العدد ٤٣٠ تاريخ ٢٩ أبريل ١٩٥٥ ص ٤١ . نتل وتنديه : جبلان فى منطقة النيمانج .

ولم تمانع السلطات فيما قرره الملك كندة كربوس (١) واعضاء ادارة النيمانج (٢) فى أوائل عام ١٩٥٥ حين وضعوا قوانين تهدف ــ كما قالوا ــ الى رفع مستوى القبائل المنضوية تحت الدائرة • وحرمت هذه القوانين ثقب الأذنين ، وارسال شعر الرأس وتمشيطه بطريقة معينة ــ بالنسبة للرجال ، ولبس السكسك و « الباردقيلة » للنساء • كما حرمت العرى وتربية الخنازير • ولم تجد هذه القوانين معارضة من السلطات رغم قدم هذه العادات وتأصلها فى نفوس الناس هناك ، وحاجتها ــ بالتالى ــ لوقت طويل لمحاربتها ورغم انطلاقها ــ وهذا هو الاهم ــ من أساس دينى خاصة تحريم العرى وابادة الخنازير (٣) ، ورغم ان هذه الدائرة تقع ضمن منطقة جمعية الكنيسة التبشيرية Church Missionary Society 'C.M.S.' والتى بنت شفخانة وكنيسة فى جبل سلارا ، أحد جبال قبيلة النيمانج •

حاربت الادارة البريطانية الهجرة الى « الشمال » بحسبانها ستترك أثرا اسلاميا على من يستقرون هناك لفترة ، وتكمن خطورتها فى أن العائدين منهم يؤثرون بالتالى تأثيرا « سيئا » على بقية الاهالى • وسنت الحكومة فيما بين ١٩٢٠ ــ ١٩٤٠ عدة قوانين الغرض منها الحد من الهجرة والحفاظ على العادات والتقاليد النوبية ودعمها • كان المهاجرون نوعين : جنود وباحثون عن العمل • وللحد من هجرتهم أصبح التجنيد لقوة دفاع السودان

---

١ ــ ثبت الملك كندة كربوس ــ وهو ضابط سابق بقوة دفاع السودان ــ فى وظيفة ملك فى ٧ر٧ر١٩٥٤ بعد قضاء فترة تجريبية لمدة عامين . وقد لعب دورا كبيرا فى انتشار الاسلام فى ادارة النيمانج ، وساعد الشيخ القرشى كثيرا .

٢ ــ تضم دائرة النيمانج ، وهى وحدة ادارية ، قبائل : النيمانج ، كاركو ، تيمين ، كتلا ، وجلود .

٣ ــ كان تحسين نسل الخنازير وتربيتها من الاشياء التى اهتم بها نيوبولد

Henderson, K. D. D., *The Making of Modern Sudan*, 1952, PP. 49—50.

وكان لنيوبولد آراء فى كساء النوبة أوعدم كسائهم صعق لها أحد المبشرين لدرجة أنه قال « وانى لمتأكد أنه سيكون من الخير عمل كل ما يمكن لفرملة كساء النوبة » . من خطاب شخصى من المبشر د.ن. ماكدوال الى جلان ١ر١١ر١٩٢٤ .

يتم من داخل جبال النوبة نفسها ويعمل المجندون داخلها أيضا واشترطت الحكومة على الجنود أن يتزوجوا ـ ان أردوا الزواج ـ حسب العرف والتقاليد النوبية وأوضحت لهم أنها لن تساعدهم ـ فى حالة الطلاق أو موت الزوجة ـ فى استرداد ما دفعوه من مهر أن لم يتقيدوا بذلك • وفى عام ١٩٣٨ أرسلت أسماء من تسجلوا بالخرطوم وغيرها للعمل كخدم منازل الى مفتشى المناطق التى أتوا منها ليحولها هؤلاء بدورهم للمكوك لمعرفة ما اذا كان هناك اى اعتراض قبلى يحول دون بقاء اولائك النوبة فى « الشمال » • ولم تسمح الحكومة فى عام ١٩٤٠ للموظفين المنقولين خارج المديرية بأخذ أى صبية نوبيين للعمل كخدم منازل دون موافقة المسئولين • كذلك لم تسمح الحكومة للنوبة العاملين فى حقول القطن فى جبال النوبة بالسكن فى المدن ككادقلى وغيرها وانما شجعتهم على السكن خارج هذه المدن للمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم • بل انها لجأت الى جمع النوبة العطالى الموجودين بالعاصمة وارسالهم الى مناطقهم على حسابها وتوجت ذلك كله فى عام ١٩٣٢ باعلان جبال النوبة منطقة مقفولة لا يدخلها « شمالى » الا باذن • واستمرت المنطقة كذلك حتى عام ١٩٤٩ حينما الغى قانون المناطق المقفولة •

وفى اكتوبر عام ١٩٤٧ قدم مستر روبرت هـ • ملوى Robert H. Meloy طلبا للسكرتير الادارى للسماح باقامة ناد وداخلية تابعة للارسالية الامريكية فى مدينة الابيض تأوى الشبان المسيحيين الوافدين للعمل من جبال النوبة وتكون مكان تجمع لهم وتجذب ممن يأتون مستقبلا ، مبعدة اياهم بذلك من التأثير الاسلامى ، واضعة اياهم تحت التأثير المسيحى حيث تقام الصلوات ويدرس الدين المسيحى •

وعند استشارة مدير كردفان اوصى بعدم قبول الطلب لعدة اسباب منها ان سياسة الحكومة الرسمية هى عدم تشجيع النوبة على الاستيطان والاستقرار فى الابيض • ولعل الحالة السياسية فى ذلك الوقت ـ (١٩٤٧) وقد كانت المعارضة الوطنية لقيام الجمعية

التشريعية فى قمتهـا ـ لعبت دورا فى رفض الطلب اذ خشى مـدير كردفـان آنذاك أن يكون لقراره بالايجاب صـدى سياسى واسع . فالمسلمون يعتبرون هؤلاء النوبـة والجنوبيين مسلمين أو ذوى ميول اسلامية وأيـة محاولـة لتنصيرهم ستثير سخطهم ، خاصة ومستر ملوى لن يحصر نشـاطه على مجموعـة البريطانيين والنوبـة المسيحيين حقا الموجـودين بالأبيـض ، والذيـن لا يبرر عـددهم مجىء ملـوى . « ان العمـل غير الحصيف وسطهم (وسط النوبـة والجنوبيين) ، أو حتى أكثر الاعمال حصافة فى فترة توتر سياسى ، يسبب حرجا سياسيا فى وقت ازداد فيه بغض الاجـانب لحد الجنون » (١) . وكان من رأيه ان مجال الوثنية واسع فى افريقيا وفضّـل ان تحصـر الارسـالية الامريكية مجهوداتهـا فى منطقتى نفوذها فى اعالى النيل . فهناك من العمـل مايكفيها . ولكن مـدير كردفان عاد ، بعد مقابلة مستر ملوى لـه ومناقشته معه ، ووافـق على الطلب . ونتيجـة لذلـك وافقـت الحكومة ، بعـد استشـارة مدير التعليم وجمعية الكنيسة التبشيرية (C.M.S.) ، على اقامة النادى .

ومن ناحية أخرى لم يكن فتح مثل هذه النوادى والداخليات شيئا جديداً . فقـد فتح ناديان من قبل لاعداد كبيرة من النوبة المنتشرين فى الخرطوم « وهـكذا انقـذوا من الفسق والاسلام » ، على حد قول ترمنقهام (٢) . وشـهد عام ١٩٤٣ تعميد ثلاثة أشخاص احدهم نوبى . وآوى نادى امدرمان الذى أنشىء عام ١٩٤٩ الطلبـة النوبيين الذين بعثت بهم ارسالية السودان المتحدة لتعلم الزراعة . ودارت مراسـلات بين الارسـاليات فى جبـال النوبة والجنوب بغـرض ملاحقـة الذين يعودون لموطنهـم حتى لا تنقطـع صلتهم بالكنيسة .

---

١ ـ من مدير مديرية كردفان (ج.ف. تيرنى J. F. Tiernay) الى السكرتير الادارى (ح.و. روبرتسون J. W. Robertson) رقم Kn.P.—SCR—46—A—6 بتاريخ ٧د.١د١٩٤٧ فايل ود/شرج/سرى/٤٦/ب/٧/١٢ ص ٧٥٢ .

٢ ـ Trimingham, J. S., *Christian Approach to Islam in Northern Sudan*, O. U. P., P. 56.

كان مركز هيبان فى منطقة تلودى من ابرز وانجح مراكز ارسالية السودان المتحدة Sudan United Mission (S.U.M.) ولعله المركز الوحيد الذى قام بعمل يذكر فى مجال التبشير والتعليم • فقد قدر الحضور اليومى للكنيسة فى عام ١٩٥٢ بمائة شخص عدا تلاميذ وتلميذات وموظفى الارسالية حيث يرتفع العدد الى ثلاثمائة • ولا يعزى هذا الى انهاذات هيئة عاملة افضل مما فى المراكز الاخرى بقدر ما يعزى لقدمها اذانها أنشئت فى عام ١٩٢٠ وكانت المركز الرئيسى لكل مراكز الارسالية مما جعل تأثيرها يمتد الى الاهالى المحيطين بها والذين وجدت تجاوبا منهم أكثر مما فعلت مع الكورنقو Korongo والمورو Moro لدرجة ان ملك هيبان ومعظم الشيوخ يحضرون للكنيسة بانتظام •

ولعله كان من نتيجة ضعف المراكز الاخرى قيام مدرسة ملز التذكارية للانجيل (١) فى الشواى فى عام ١٩٥٢ لخلق كادر لتدريب بعض ابناء النوبة ، قويمى الخلق والعارفين للغة العربية ، فى أمور الدين المسيحى ليقوموا فيما بعد بتدريس مبادىء المسيحية للاطفال بلهجة مكتوبة بحروف رومانية • ولكن العمل بالمدرسة لم يسر بصورة مرضية مما ادى الى اغلاقها بعد ثلاثة أعوام اذ لم تجد المدرسة تشجيعا من الاهالى الذين لم يتحمسوا لهذا النوع من التعليم الدينى والذى لم تكن وراءه فوائد تجنى كالعمل بالمكاتب الحكومية ؛ بالاضافة الى تأثير الحوازمة العرب الذين كانوا « يدمرون » طوال فترة الصيف بالشواى بينما استقر جزء منهم فيها ، والى تأثير الشيخ

---

١ ــ أقيمت مدرسة ملز التذكارية للانجيل تخليدا لذكرى المبشر ولفرد ملز الذى توفى بنيوزيلندة فى الرابع من ابريل عام ١٩٤٦ . عمل ملز بالجنوب حتى عام ١٩١٣ وعمل بجبال النوبة فى هيبان وعبرى حيث بنى ــ هو وزوجه ــ فى هيبان مبانى ومدرسة بايديهما وصار مشرفا ميدانيا لارسالية السودان المتحدة فى جبال النوبة فى ١٩٣٠ . وقد ترجم هو وزوجه اجزاء كبيرة من الانجيل « العهد الجديد » للغة الكواليب النوبية . أنظر :
R. Hill, *Biographical Dictionary of the Sudan.* London 1967, P. 239).
انظر ، ايضا ، جريدة The Sudan Star عدد ٦ر٦ر١٩٤٤ .

البرناوى الذى استقـر فى المنطقةوادخـل الطريقة القادرية فيها منذ العشرينيات والذى نجح فى كسباعداد كثـيرة من اهالى الشواى ، بما فيهم ملك اوتورو ، للاسلام •

أما فى مجال التعليم فقد تخلت الحكومة عام ١٩٤٠ عن سياستها السابقة فى حجـز مدارس خاصةبالنوبة وشجعت الارسالية بالتركيز على ما يسمى بمدارس الغابة التىتستعمـل اللهجـات المحليـة Vernacular Bush Schools لاتصال هـذا النوع مـن التعليم بالعمل التبشيرى ولكونه جزءا حيويا هاماًمـن السياسة الكنسية لمـا له من تأثير دينى واخلاقى ، على أن تدفع الحكومة اعانة للارسالية شريطـة أن تكون المقرراتفى العلوم الاخرىمشابهة لمقررات مصلحة المعارف • كما اتفقت الحكومة والارسالية علىاقامة مركز بهيبان لتدريب مدرسى مدارس الغابة على أن يلحـق بهذاالمركز مبشران يحمـلان دبلـوم التربية بلندن •

وهكذا اقتصرت مساهمـةالارسـالية فى التعليم على مدارس الغابة والتى كانت تكتب اللهجـاتبحروف رومانية وتدرس بواسطتها مبادىء المسيحية • ومـن الأسبابلتى عـددها المشـرف الميـدانى (Field Superintendent) للارساليةلكتابتها بحـروف رومانيـة كون العربية عاجزة عـن استيعاب كل الأصـوات ولكن يبدو أن السبب الرئيسى هـو الخوف من انتشارالعربية وبالتالى الاسلام •

لم يكن فى مقدور الارسالية أن تدير نوع هـذا التعليم بفعالية وذلك لازدياد انتشار اللغة العربيةكلغة تخاطب نتيجة لازدياد أعـداد النوبة الذين نزلوا من أعلى الجبالللسهول حيث يتواجـد العـرب ، ولقيـام مزارع القطـن حيث عملبعض النوبـة ، ولتدريس اللغـة العربيـة بحروف عربية فى مدارسالحكومة ، ونتيجـة لعدم حماس الأهالى لهذا النـوع مـن التعليمالمرتبط بالمجتمـع الكنسى • وربما كان هـذا هـو السبب فى قرارالارسالية تضـمين دراسة مبادىء اللغة العربية بحروفعربية والتحدث بها فى مقرر مدارس الغابة مما يفيد

التلاميذ الذين يودون الالتحاق بمدارس الحكومة، وكانت الارسالية الموجودة بغرب الجبال (C. M. S.) قد فطنت لذلك من قبل .

أما مركز التدريب فقد قام بالفعل ولكنه لم يزدهر وكان عدد خريجيه مخيبا للآمال مما أدى الى قفله فى عام ١٩٤٥ ورؤى أن تقوم مراكز تدريب محلية فى كل منطقة ذات وحدة لغوية على أن تعقد للملتحقين بها كورسات قصيرة مركزة .

وفى اجتماع ضم مدير التعليم والمشرف الميدانى Field Superintendent للارسالية فى ٢٤ر٦ر١٩٤٦ أتفق على أن تتخلى الارسالية عن اشرافها المباشر على مدارس القرى الصغرى، ونوقشت خطة لمدير التعليم تقضى بتطور نظام مدارس حكومية لتلاميذ المسلمين وأخرى للمسيحيين على أن يبذل كل مجهود لتزويد مدارس المسيحيين بمدرسين من النوبة تخرجوا فى مدارس عبرى وكاودا الاوليتين الحكوميتين . وحُبِّذ كل نوع من التعاون بين الحكومة والارسالية فيما يختص بالمقرر وعدد الحصص واختيار المدرسين وتحديد الاماكن لاية مدارس جديدة تنوى الحكومة اقامتها مستقبلا .

ولم توقع الحكومة أية اتفاقية جديدة مع الارسالية « فقد أوضحت التجربة أن هذه الارسالية غير قادرة على أية تجاوب لاى طلب أكثر تحديدا »(١) ولكنها رأت أن تدفع لها اعانة قدرها ستمائة (٦٠٠) جنيه سنويا مقابل دورها كوسيط حضارى فى جبال النوبة .

وكانت مدارس الحكومة الاسلامية فى الليرى ، كالوقى ، أبوجبيهة ، أم برمبيطا ، أبو طليح ، قرود ، ابوكشولى ، خشخش ترتور ، مورو وكلها مدارس صغرى، تستمر فيها الدراسة لمدة ثلاث

---

١ ــ من نبذة عن الغاء الاتفاقية القائمة بين حكومة السودان وارسالية السودان المتحدة (S.U.M.) واعادة تنظيم نشاط الارسالية التعليمى فى جبال النوبة . ١ر٦ر١٩٤٧ .

سنوات ، ماعدا مدرسة تلودى فقدكانت أولية • واتخذت الحكومة فى عام ١٩٥٠ خطوات سريعة لتدريب مدرسين من النوبة المسلمين ليقوموا بتدريس كل المواد ، بما فيها الدين الاسلامى ، فى هذه المدارس •

أما المدارس المسيحية فكانت فى ديرى ، هيبـــان ، كالكدا ، تبانيا ، أوتورو ، مساكين ، شواى ، كودير ومدرسة المورو فى أم دورين ، وكلها مدارس صغرى •

وعارض بعض الاداريين تدريس الدين ، اسلاميا كان أو مسيحيا ، فى المدارس الصغرى باعتبار أن المحافظة على البيئة المحليـة وعلى تأثير الوالدين أهم من تدريس أى مقرر للدين فى مدارس لم يكن الغـرض منها أساسـا اعطاء أى تعليم حـر متكامل • و« لكن سياسة قد وضعت وكان لابد من اتباعها »(١) •

وفى عام ١٩٥٢ أعلنت الحكومة رسميـا سياستهـا فيما يختص بالتعليم الدينى ، بعـد مناقشة كل الوضع مع رجال الارساليات الذين أبدوا تفهما لذلك ، والتزمت بحيادها التام فى هذا الامر ايمانا منهـا بأن الدين يكوّن أساسا متينا لاى تعليم معقول • واصبحت المدارس الحكومية ترحب بالتلاميذ المسيحيين والمسلمين وأصبح للتلاميذ الحرية فى اختيار الـدين الذى يرغبـون دراسته ــ ولا يمكنهم تغييره دون رغبة والديهم • ونسبة لغلبة التلاميـذ المسلمين وتغيير العطـلة الى الجمعـة بدلا عن الاحد فقـد كان للتلاميـذ المسيحيين الخيـار فى الذهاب للصـلاة بالكنيسة ، ومن جهة أخـرى لم يسـمح للتلاميذ المسلمين الملتحقين بمدارس الكنيسة كى كجا حضـور حصص الـديانة المسيحية ، على أن يحضروا حصص الـديانة الاسـلامية فى المـدارس الحكومية • وكان عدد الحصص المخصصـة للديانتين أربع • وعن سياستها فى المستقبل أعلنت الحكومة ان النوبة الوثنيين الذين يلتحقون

---

١ ــ من مدير مديرية كردفان الى مأمـور الدلنج ٢٨ر٧ر١٩٥٢ .
(46. Missien JD/SCR/46)

بالمدارس المخصصة للمسلمين سيدرسون الدين الاسلامى على أن يعامل الذين يلتحقون بالمدارس المخصصة للمسيحيين نفس المعاملة •

وأبدت الحكومة استعدادها لتحمل التكاليف المالية لاية مدارس تحت الدرجة تفتحها الارسالية فى مناطق تشعر بازدياد نفوذها فيها وبحاجة الاهالى ورغبتهم للتعليم ، واشترطت لدفعها أن تكون ادارة هذه المدارس حسب قوانين وزارة المعارف • كما قالت انها ستنظر بعين الاعتبار لاية خطط تقدمها الارساليات لتوسعها التعليمى •

وبالنسبة للتبشير الاسلامى أبدت الحكومة استعدادها، كذلك، لتدعم ماليا أية مدارس بالمستوى المطلوب يفتحها رجال التبشير الاسلامى •

كانت نسبة التلاميذ المسلمين والمسيحيين والوثنيين فى مدارس الحكومة فى الجبال الغربية ، (بخلاف كادقلى ، الدلنج وحمادى) ، ومدارس الارسالية فى مارس ١٩٥٢، كما يلى(١) :

١ - Sudan News & Features, issued by Public Relations Branch, Civil Secretary Office, No. 102, 1952.

مدارس الحكومة

المدرسة	مسلمون	مسيحيون	وثنيون	المجموع	مسلمون	النسبة مسيحيون	النسبة وثنيون
سلارا	١٢٥	٢٥	لا شيء	١٥٠	٨٠٪	٢٠٪	—
كچا	١٤٠	٤	لا شيء	١٤٤	٩٧٪	٣٪	—
أم دورين	٩٠	١٨	١٢	١٢٠	٧٥٪	١٥٪	١٠٪
كاودا	٦٤	٦٦	لا شيء	١٣٠	٤٥٪	٥١٪	—
عبرى	٣٠	١٠٢	لا شيء	١٣٢	٢٢٪	٧٨٪	—
هيبان	١٢	٨١	لا شيء	٩٣	١٢٪	٧٧٪	—
(بنات)							

مدارس الارسالية

المدرسة	مسلمون	مسيحيون	وثنيون	المجموع	مسلمون	النسبة مسيحيون	النسبة وثنيون
كچا الاولية	٧٧	٢٥	١٨	١٢٠	٦٤٪	٤١٪	٥١٪
كچا الوسطى	٣٠	٣٥	١٥	٧٧	٣٨٪	٤١٪	٢١٪

ولم تخل سياسة تقسيم المدارس الى اسلامية ومسيحية والى مدارس داخل نطاق الارساليات ، لم تخل من صعوبات فى التطبيق فمدرسة تراماندى ، مثلا ، تقع داخل منطقة الارسالية S. U. M. رغم انها ـ أى المنطقة ـ يغلب عليها الاسلام ولذا اقترح المبشرون ان تأخذ الحكومة هذه المدرسة كمدرسة أولية .

وتعذر أحيانا انشاء مدارس للمسيحيين وأخرى للمسلمين لعدم وجود عدد كاف من التلاميذ ـ أو التلميذات فى حالة مدارس البنات وكان تعليم البنات قليلا ـ كما كان الحال فى مدرسة هيبان الحكومية للبنات . كانت تلك المدرسة فى مبانى مؤقتة مستعارة من الارسالية وتقع بالتالى فى نطاقها . وقد أدى خروج التلميذات المسلمات فى الحصة الثانية من كل يوم من أيام الدراسة وسيرهن لمدة ثلثى الساعة لحضور حصة الدين الاسلامى ، أدى للانطباع بأن المدرسة مدرسة للمسيحيين . وكان لابد من تصحيح هذا الانطباع وشرح الموقف للآباء وتعريفهم بحقهم فى أن تدرس بناتهم أى الديانتين ، وان مدرسا مسلما سيحضر عندما يزداد عدد البنات المسلمات .

ويلجأ ناظر المدرسة نفسها عام ١٩٥٥ ـ أى بعد سبع سنوات ـ وبعد ازدياد عدد التلميذات المسلمات الى فصل ثلاث تلميذات مسيحيات فصلا مؤقتا الى أن يأتى باحد المدرسين لتدريس الدين المسيحى .

خاتمة :

اعتبر ترمنغهام منطقتى جبال النوبة والفونج محكا لقدرة التبشير المسيحى فى السودان(١) فجبال النوبة ـ وهى « صخورة بارزة

---

١ ـ Trimingham, J. S., op. cit., p. 39

وسط بحر ممتد من الظلام المحمدى» ، كما جاء وصفها فى احدى نشرات ارسالية السودان المتحدة(١) ــ تتجه اقتصاديا واداريا الى الشمال • وقد أشار ماكسويل الى الصعوبات التى واجهت ارسالية السودان المتحدة فذكر تعدد اللهجات والعادات والتقاليد كمعسكرات الابقار (٢) ، وفوق ذلك أثر اللغة العربية والاسلام والتطور السياسى فى البلاد (٣) • وأضاف نادل ، لذلك ، طبيعة الدين المسيحى الذى يتطلب تغييرا جذريا للمجتمع أو ــ بعبارة أدق ــ يهدف الى خلق مجتمع جديد مما يوجد خلافا بينه وبين الديانات المحلية (٤) • وقد فشل رجال الارساليات فى خلق نوع من الوفاق بين مبادىء المسيحية والمبادىء الوثنية ، أو التبشير بمسيحية تقوم على أساس نوبى •

واعتبر ترمنغهام تغير السياسة البريطانية تجاه الاسلام والمسيحية سببا لتقلص النفوذ المسيحى اذ يقول « ان ظاهرة مزعجة منذ ١٩٣٩ هى ميل الحكومة لاعتبار أقل مظهر سطحى اسلامى مبررا كافيا لتعديل سياستها بالسماح للنفوذ المسيحى بين الوثنيين فى المناطق المتاخمة (للاسلام) ومن ثم عملها على انحسار النشاط التبشيرى » (٥) • ولعل هذه « الظاهرة المزعجة» تفسر الخلاف بين رجال الادارة البريطانيين والمبشرين فيما يختص بالتنصير والتعليم وأيهما يأتى أولا ــ وهو خلاف لم يكن وقفا على جبال النوبة وحدها (٦) •

---

١ ــ The Lightbearear, Vol. XXX, No.1, London January—February 1934, P. 14.

٢ ــ كمثال لمعسكرات الابقار انظر : أحمد عبد الرحيم نصر ، « معسكرات الابقار عند النيمانج » ، مجلة الخرطوم ، أكتوبر ١٩٦٨ ، ص : ٧٢ ــ ٧٧ .

٣ ــ Maxwell, J. L. *Half a Century of Grace : A Jubilee History of Sudan United Mission, pp.* 307—310.

٤ ــ Nadel, S. F., op. cit., P. 511

٥ ــ Trimingham J. S., op. cit., P. 29

٦ ــ انظر مثلا :
Collins, R.O., *Lands beyond the Rivers : Southern Sudan,* 1898—1919, Yale University Press, 1971, pp 291—292

فبينما يرى رجال الارساليات أن التنصير يأتى أولا ، يرى الاداريون العكس وأدى هذا الى تحمل الحكومة بعد ١٩٤٠ مسئولية تعليم النوبة ، والذى كانت قد عهدت به من قبل للارساليات ، حين وجدت ـ أى الحكومة ـ أن التعليم يسير بخطوات بطيئة وراء التطور المادى مما يعنى فى نظر رجالها ـ التحاف النوبة بعباءة الاسلام . ولكن التطور السياسى فى البلاد لم يمكنهم من تنفيذ سياسة أكثر فعالية . ففى ديسمبر ١٩٤٨ تمتع السودان بشىء من الحكم الذاتى واضطلع بعض السودانيين بمناصب وزارية ، ثم كانت سودنة الوظائف بعد تكوين أول وزارة سودانية ـ بعد انتخابات برلمانية ـ فى عام ١٩٥٤ ، ثم الاستقلال وانطوت بذلك صفحة من صفحات التاريخ فى كل البلاد .